من فن الكتابة إلى فن القراءة:

النموذج الشتراوسيّ في التأويل

From the Art of Writing to the Art of Reading: The Straussian Model of Interpretation

Benoît Frydman

ترجمة: أ. اشريف مزور

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
ظهر المهراز-فاس
المغرب

charifmezour.02@gmail.com

من فن الكتابة إلى فن القراءة: النموذج الشتراوسيّ في التأويل ـــــــ

1- النصّ المترجم:

هل يوجد نموذج شتراوسي للتّأويل؟ وهل يقدّم ليو شتراوس Leo Strauss، في كتابه **الاضطهاد وفنّ الكتابة**، نموذجا مخصوصا لقراءة النصوص وفهمها؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب، فما أهميّة هذا النموذج وما مرتكزاته أو خطوطه الأساسيّة؟

يُساق، من حيث المبدأ، سببان لترجيح تقديم جواب بالإيجاب. يرتبط السبب الأول بطبيعة المسعى نفسه عند شتراوس. فكما كتب فريدريش شلايرماخر Schleiermacher، فإن الهيرمنيوطيقا تقابل الخطابة/البلاغة la rhétorique تقابلا تماثليا، ذلك أنّ كل فعل من أفعال الفهم إنما هو الوجه المعكوس لفعل من أفعال القول. وبعبارة أخرى، فإن ممارسة الهيرمنيوطيقا تعني، على نحو ما، التعامل مع النصّ بوصفه خطابا بلاغيا. ومن ثمّ، فإن افتراض وجود «فنّ للكتابة» ينطوي، في الوقت نفسه، على الإيحاء بوجود «فنّ للقراءة».

يستند السبب الثاني مباشرة إلى تصريحات شتراوس نفسه، إذ يؤكّد ضرورة وضع قواعد لمنهج مخصوص لمقاربة قراءة النّصوص الكبرى في الماضي[1]. وهو يتميّز بوضوح، في هذه النّقطة، عن هانس-غيورغ غادامر Gadamer، المعروف بعدائه الجذري لكل مقاربة منهجيّة للفهم[2]. ومن المعلوم أنّ كتاب **الحقيقة والمنهج** يحمل عنوانا ذا طابع تهكمي؛ ففيه يندّد غادامر بتشييء l'objectivation العلاقة بالنصّ (يعني النظر إلى النصّ وكأنّه كيان موضوعي محايد يمكن قراءته وفهمه بمعزل عن القارئ وتجاربه، وهو ما يعارضه شتراوس ويعتبره خطأ منهجيا) - وهو ما تميل إليه، في نظره، كل طريقة تأويليّة - باعتباره حجر الزاوية في النزعة التاريخانيّة التي كان يحاربها، شأنه في ذلك شأن شتراوس نفسه. بل إن هذا الحكم بالإدانة يتجاوز نقد العلم الحديث، إذ يمتد ليشمل تقنيات الهيرمينوطيقا القديمة[3].

غير أنّ ليو شتراوس لا يشاركه هذا الرأي؛ فهو، على العكس من ذلك، يدافع عن «تفكير منهجي في التقنيّة الأدبيّة لدى كبار كتّاب الأزمنة السالفة»[4]. ويلاحظ أيضا أنّ هذا التفكير «يتجاوز بالضّرورة حدود

1- على سبيل المثال، فيما يخص كتاب دلالة الحائرين: " لكي نصل إلى قواعد تتيح لنا التحرر من الضرورة الشاقة المتمثلة في وضع تخمينات حول الأفكار السرية لابن ميمون، يتعين علينا أن نبدأ بداية جديدة [...]". انظر:

L. Strauss, La Persécution et l'art d'écrire, Paris, Presses Pocket, 1989, p. 103.

التوكيد من عندي، وكذلك القواعد التي تم تطويرها فعليا في أعقاب ذلك.

2- Gadamer, Vérité et méthode, Paris, Seuil, 1976, p. XXV.

"وهكذا، فإن مشكلة الهيرمينوطيقا، منذ نشأتها، تتجاوز الحدود التي تفرضها فكرة المنهج كما يتصورها العلم الحديث، ويضيف كذلك: أن [ظاهرة الفهم] تقاوم أي محاولة لتحريف حقيقتها وجعلها في هيئة منهج علمي". انظر أيضا الصفحتين 121 و130 من نفس الكتاب.

3-Vérité et méthode, op. cit., p. XIV.

"إن 'تكنولوجيا' للفهم، على النحو الذي سعت الهيرمينوطيقا القديمة إلى أن تكون عليه، لأمر غريب عن مشروعي؛ فلم أقصد وضع نظام من القواعد التقنية قادر على وصف، ناهيك عن توجيه، السلوك المنهجي للعلوم الإنسانية (Geisteswissenschaften) ". انظر أيضا الصفحة XXVII حيث يميز Hans-Georg Gadamer بوضوح بين مشروعه والهيرمينوطيقا القديمة.

4-La Persécution et l'art d'écrire, op. cit., p. 64.

من فن الكتابة إلى فن القراءة: النموذج الشتراوسيّ في التأويل ـــــــ

مجلّة نقد وتنوير - العدد الثامن والعشرون - السنة السابعة ـــــــ

من فن الكتابة إلى فن القراءة: النموذج الشتراوسيّ في التأويل ـــــــ

المنزّلة ليصدروا أحكامهم، من خلال تقويض سلطة الكتاب المقدّس بوصفه مصدرا مباشرا لقواعد ملزمة، وبالتالي بوصفه مصدرا غير مباشر للسلطة بالنسبة لأولئك الذين يحترفون شرحه وتأويله.

يصل سبينوزا إلى هذه النتيجة بأسلوب بسيط نسبيا لكنه يدّمر تماما بنية الهيرمينوطيقا القديمة. يفرض تمييزا بين معنى النّص وحقيقته، أو- كما يقول هو- بين «المعنى الحقيقي» le vrai sens (ما يبدو أنّ النصّ يقصده مباشرة /المعنى الظاهر) و«الحقيقة الصّادقة للمعنى» le sens vrai (ما يحقّقه النّص من قيمة أو حقائق موضوعية حتى لو خالفت الظاهر أو الوحي التقليدي)، سواء كانت هذه الأخيرة محدّدة بالرّجوع إلى العقل، أو إلى التقليد، أو ببساطة إلى التماسك الداخلي (للنّص)[1]. وهذا التمييز، كونه تجديفا لأنه يشكّك في الإلهام الإلهي للكتب المقدّسة، يهدم بالكامل نظام السّلطات، تلك النّصوص المعتمدة، أي التي تعتبر رسميا حقيقية[2]، والتي كان يستند إليها، في جميع المجالات، العلم المدرسي la science scolastique.

وبعد أن يفصل بين الدّلالة والحقيقة على هذا النّحو، يقوم نسق الرسالة -الذي يفكّك شتراوس آليته بدقّة تامّة- على مطابقة الدّلالة بالمعنى الحرفي الواضح، المنقّى من كلّ إضافة أو تحريف، أي العودة إلى المعنى الأصلي، المعنى التاريخي، الذي يمكن بعد ذلك تجريده من قيمته بوصفه معنى متجاوزا أو مُحنّطا *momifié*، بحيث لا يعود بالإمكان استخلاص تعليم راهن ملزم منه[3]. وهكذا فإن باروخ سبينوزا - بدافع وجيه بلا شك - ومعه الفيلولوجيا الحديثة بأسرها التي سارت على خطاه، يعمدان إلى تحييد إمكانات الإبداع وتحيين المعنى التي كانت تمتلكها الهيرمنيوطيقا القديمة والوسيطة، وذلك تحت خاتم التّاريخ وسلطانه[4].

على الصعيدين السياسي والقانوني، فإن الآثار المترتبة على **الرسالة اللاهوتية-السياسية** بالغة الأهمّية. وينبغي ربطها بظهور متزامن لكل من الحقّ الطّبيعي الحديث والوضعانية القانونية positivisme juridique، وهو ما درسه ليو شتراوس دراسة معمّقة في كتابه **الحقّ الطبيعي والتاريخ**. فالتمييز بين «الحقيقة الصّادقة للمعنى» و«المعنى الحقيقي» يضاعف في الواقع التّمييز القائم بين الحقّ الطبيعي والحقّ الوضعي، ويعزّز التعارض بينهما. إذ إنّ البحث عن «الحقيقة الصادقة للمعنى» يقود إلى النّظم القائمة على نظرية الحقّ الطبيعي التي يُتصوَّر بناؤها على الطّريقة الهندسية *more geometrico*، وبالاعتماد على العقل الإنساني وحده، خارج كل نصّ، وباستقلال عن كل سلطة، وتظل صالحة «حتى لو لم يكن الله موجودا»، وفق الصّيغة الجريئة التي سبق أن صاغها غروتيوس Grotius.

1- La Persécution et l'art d'écrire, op. cit., p. 208.

2- قارن ذلك بالوضع القانوني الحالي للوثيقة الرسمية (كالحكم القضائي، ومحضر التبليغ أو التنفيذ، والصك الأصلي...)، والتي تعتبر معايناتها حجة قانونية إلى أن يتم الطعن فيها بالتزوير.

3- La Persécution et l'art d'écrire, op. cit, p. 210 et 259-261.

4- حول الأثر التحييدي neutralisateur للتاريخانية، انظر نفس المرجع السابق ص65. وحول نقد التاريخانية وآثارها، انظر نفس المرجع الصفحات 92-215-221-223.

من فن الكتابة إلى فن القراءة: النموذج الشتراوسيّ في التأويل ـــــــ

مجلّة نقد وتنوير - العدد الثامن والعشرون - السنة السابعة ـــــــ

من فن الكتابة إلى فن القراءة: النموذج الشتراوسيّ في التأويل ـــــــ

مجلّة نقد وتنوير - العدد الثامن والعشرون - السنة السابعة ـــــــ

من فن الكتابة إلى فن القراءة: النموذج الشتراوسيّ في التأويل ـــــــ

مجلّة نقد وتنوير - العدد الثامن والعشرون - السنة السابعة ـــــــ

من فن الكتابة إلى فن القراءة: النموذج الشتراوسيّ في التأويل ـــــــ

مجلّة نقد وتنوير - العدد الثامن والعشرون - السنة السابعة ـــــــ

من فن الكتابة إلى فن القراءة: النموذج الشتراوسيّ في التأويل ـــــــ